

كلية الاداب
قسم التاريخ
محاضرات مادة (تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الاموي)
م.م. وداد محمد عبد الله
المرحلة الثانية (الصباحية و المسائية)
2026 – 2025
المحاضرة (13)

فتح انطاكية

الأهمية:

أنطاكية كانت المركز العسكري والإداري الأساسي للإمبراطورية البيزنطية في شمال الشام، ومقر إقامة هرقل أثناء العمليات العسكرية في المنطقة. كما كانت نقطة انطلاق الجيوش البيزنطية لمواجهة المسلمين في دمشق وحمص وبعلبك، وملتقى طرق حيوي للتجارة بين الشام ووسط الأناضول وسواحل البحر المتوسط. السيطرة على أنطاكية كانت تعني للمسلمين قطع آخر خطوط الدفاع البيزنطية في الشام الشمالية، وتأمين شمال بلاد الشام بالكامل، وتحويل المدينة إلى قاعدة استراتيجية لصد أي هجمات مستقبلية من الإمبراطورية البيزنطية.

مجريات الفتح:

بعد أن أتم أبو عبيدة فتح حلب، توجه إلى أنطاكية، فاستقبل السكان المسلمين بحذر وتحصنوا داخل أسوار المدينة استعداداً لأي هجوم. ضرب المسلمون الحصار حول المدينة، مع وجود مناورات عسكرية ومراقبة للطرق المؤدية إليها لمنع وصول أي تعزيزات بيزنطية. حاولت قوات محدودة الخروج لمواجهة المسلمين، إلا أنها فشلت أمام خبرة الجيش الإسلامي، فأجبروا على العودة إلى داخل أسوار المدينة. ونتيجة للحصار الفعال والتهديد العسكري، اضطر سكان أنطاكية لطلب الصلح والأمان، فوافق أبو عبيدة على شروطهم، وفرض الجزية على المسيحيين، بينما أسلم بعض السكان. دخل المسلمون المدينة بعد ذلك، واستقروا فيها مع ضمان أمن السكان وأملاكهم وأماكن عبادتهم، مما أعطاهم قاعدة عسكرية وإدارية قوية في قلب الشام الشمالية. وهكذا فقد هرقل اضطر للانسحاب إلى القسطنطينية، مدرّكاً أن الشام كلها قد سقطت بيد المسلمين نهائياً، وتبين أن أي محاولة لإعادة السيطرة ستطلب قوة كبيرة جداً لن تكون متاحة في المستقبل القريب.

النتائج:

1. السيطرة الكاملة على الشام الشمالية، وتأمين الحدود مع الأناضول.
2. تحويل أنطاكية إلى قاعدة استراتيجية للجيش الإسلامي لمتابعة الحملات القادمة، مع ضمان أمن طرق التجارة والمواصلات.
3. كسر آخر نقاط القوة البيزنطية في المنطقة، وإجبار هرقل على الانسحاب من الشام، مع التأكيد على انتهاء سيطرة البيزنطيين على هذه المنطقة إلى الأبد وفق المصادر الإسلامية.
4. تعزيز مكانة الدولة الإسلامية الجديدة في شمال الشام، مع ضمان سلاسة تطبيق النظام الإداري الجديد على السكان المحليين عبر الجزية والصلح.

فتح ساحل الشام وفلسطين

تعدّ مدن ساحل لبنان وفلسطين محورًا استراتيجيًا في الشام، إذ تُشكّل حلقة وصل بين الداخل الشامي والبحر الأبيض المتوسط، وكانت قواعد أساسية للجيش البيزنطي للانطلاق نحو الداخل الشامي أو الدفاع عن الساحل. بعد معركة اليرموك، استغل المسلمون ضعف الحضور البيزنطي على الساحل، فسيطروا على المدن الساحلية وطرّدوا الروم أو ألزموهم الصلح والجزية. ساعد هذا الفتح على تأمين خطوط الإمداد وحماية المدن الداخلية مثل دمشق وحمص وحلب من أي هجوم بحري أو ساحلي. في فلسطين، أتاح التقدم العسكري للمسلمين بقيادة عمرو بن العاص السيطرة على مدن حيوية مثل سبسطية ونابلس واللّد وبيت جبرين، وضمان استقرار المنطقة عبر الأمان والجزية للمقيمين. كما فتح الطريق لتأمين الموانئ الساحلية، ما أتاح حركة التجارة والمراسلات بين الشام والجزيرة العربية. وبذلك أصبح الساحل الشامي وفلسطين منطقة آمنة ومستقرة، مما عزز من نفوذ المسلمين واستقرار الدولة الجديدة، وأبعد أي تهديد بيزنطي محتمل عن الداخل الشامي.

فتح بيت المقدس

كان لمدينة بيت المقدس أهمية استثنائية في الشام الإسلامية، ليس فقط لموقعها الاستراتيجي، بل أيضًا لقيمتها الدينية الكبيرة لدى المسلمين، فهي أولى القبلتين وموطن العديد من الأنبياء، ومسرى الرسول محمد ﷺ، ومنها عُرج به إلى السماء. كما أنها كانت القاعدة الرئيسية للبيزنطيين في المنطقة بعد سقوط المدن المحيطة، وملجأ لمن لم يرضوا بالبقاء في المدن التي فتحها المسلمون مثل دمشق وحمص، وتجمع فيها القادة البيزنطيون مثل الأرطوبون الذي تولّى قيادة المقاومة فيها. لذلك حرص المسلمون منذ البداية على وضع المدينة نصب أعينهم، وعكفوا على التحضير للحصار بهدف السيطرة عليها وإحكام النفوذ على الشام الفلسطينية.

قاد عمرو بن العاص حصار المدينة بوصفه قائد الجبهة الفلسطينية، في الوقت الذي كان فيه أبو عبيدة وخالد بن الوليد يواصلان فتح شمال الشام، وواجه مقاومة شرسة من حامية المدينة وأهلها. حاول الأرطوبون استغلال الظروف الطبيعية القاسية، من برد شديد وأمطار غزيرة وتساقط كثيف للثلوج، لإجبار المسلمين على فك الحصار، مستغلًا قلة خبرتهم في هذه الظروف. وللتغلب على هذه الصعوبات، أرسل عمرو بن العاص طلبًا إلى الخليفة عمر بن الخطاب لطلب الدعم، فاستجاب الخليفة وأرسل أبو عبيدة مع خالد بن الوليد إلى الجابية لتعزيز الجبهة، فيما كلف يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية بشن حملة على قيسارية لشغل البيزنطيين على جبهات متعددة.

مع وصول أبو عبيدة إلى بيت المقدس، تسلّم قيادة القوات الإسلامية فارتفعت معنويات الجيش بشكل كبير، في حين بدأ القلق يتسلل إلى المدافعين البيزنطيين خصوصًا بعد سقوط المدن المحيطة وفشل هرقل في إرسال الإمدادات أو جيوش النجدة. ومع إدراكهم أن المقاومة لم تعد ممكنة، انسحب الأرطوبون خلسة إلى مصر، وتسلم البطريك صفرونيوس مقاليد المدينة. عرض أبو عبيدة على السكان الإسلام أو الجزية أو الحرب، واختار البطريك الحل الوسط بإعلان الاستسلام على أن يسلم المدينة شخصيًا إلى الخليفة عمر بن الخطاب، الذي حضر بنفسه ومنح أهلها الأمان على حياتهم وأموالهم وكنائسهم، وضمن لهم حرية البقاء أو الخروج، مع مراعاة الأماكن المقدسة وعدم تحويلها لمساجد جماعية، حيث صلى عمر منفردًا خارج كنيسة القيامة وبني المسلمون لاحقًا مسجدًا في موضع صلاته.

فتح قيسارية واستكمال فتح الأردن

سار يزيد بن أبي سفيان مع أخيه معاوية لفتح قيسارية بأمر عمر، وأصيب يزيد بالطاعون فخلفه معاوية. شدد معاوية الحصار على المدينة، ولم تُسفر المناوشات عن تقدم، حتى ساعدهم يهودي يدعى يوسف بكشف نفق يؤدي إلى بوابة القلعة، فتسلل المسلمون وفتحوا المدينة في شوال 19هـ في الوقت نفسه، استكمل شُرحبيل بن حسنة فتح إقليم الأردن بعد معركة فحل - بيسان، فخضع معظم مناطقها مثل سوسيا وأنيق وجرش وبيت رأس والجولان لسيطرة المسلمين.

طاعون عمواس وفتح الجزيرة الفُراتية

في أوائل سنة 18هـ (وقيل أواخر سنة 17هـ) المُوافقة لسنة 639م، ظهر الطاعون في بلدة عمواس قرب بيت المقدس، وأخذ ينتشر في جميع أنحاء الشَّام. وكان عُمر بن الخطَّاب يهْمُ بدُخول البلاد وقتها، فنصحهُ عبدُ الرحمن بن عوف بالحديث النبوي: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا». فعاد عُمر وصحبه إلى المدينة المنورة. وحاول عُمر إخراج أبا عُبيدة بن الجراح من الشَّام حتَّى لا يُصاب بالطاعون فطلبهُ إليه، لكنَّ أبا عُبيدة أدرك مراده واعتذر عن الحُضور حتَّى يبقى مع جُنده، ويبدو أنَّ الطاعون انتشر بصورة مُريعة، عقب المعارك التي حدثت في الشَّام، فرُغم أنَّ المُسلمين كانوا يدفنون قتلاهم، فإنَّ عشرات آلاف القتلى من البيزنطيين بقيت جُثثهم في ميادين القتال من غير أن تُدفن، حيثُ لم تجد جُيوشهم المُنهزمة دائماً الوقت الكافي لِدفن القتلى. واستمرَّ هذا الطاعون شهراً ممَّا أدَّى إلى وفاة خمسة وعشرين ألفاً من المُسلمين وقيل ثلاثين ألفاً، بينهم جماعة من كبار الصحابة أبررهم: أبو عُبيدة بن الجراح وقد دُفن في قرية بغور بيسان تدعى «عمتا»، ومعاذ بن جبل الأنصاري ومعه ابنه عبدُ الرحمن، ويزيد بن أبي سفيان، وشُرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس بن عبد المُطلب، وأبو جندل بن سُهيل. وبعد انحسار الطاعون خرج عُمر من المدينة المنورة مُتجهاً نحو الشَّام عن طريق أيلة. فلَمَّا وصلها قسم الارزاق وقام بتعيين القادة والولاة على المدن المختلفة، وأغلق المداخل والثغور الحدودية للشَّام لحمايتها وتأمينها من أي هجوم محتمل. واستعمل عبد الله بن قيس الحارثي على السواحل ومعاوية بن أبي سفيان على جُند دمشق وخراجها. ثمَّ قسَّم موارِيث الذين ماتوا بعد أن حار أمراء الجُند فيما لديهم من الموارِيث بسبب كثرة الموتى، وأخذ يدرس الأوضاع لِفتح الجزيرة الفُراتية.

فتح الجزيرة الفراتية

مثلت الجزيرة الفراتية المنطقة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة، وتشمل شمال العراق، شمال شرق سوريا وأجزاء من جنوب شرق تركيا اليوم. وقد شكَّلت ننواتاً وقاعدةً عسكريَّةً روميَّةً مهمَّةً نتيجة شحنه بحامياتٍ عسكريَّةٍ ضخمة تحسباً لأيِّ هُجومٍ قد يأتي من فارس. وبعد أن فتح المُسلمون أغلب العراق والشَّام، شكَّلت هذا الإقليم خطراً على البلدان حديثة الدُخول في دولة الإسلام إذ كان بإمكان الروم استخدامه كمنصبة لإطلاق الوحدات العسكريَّة لِقِتال المُسلمين واسترداد الأراضي المفتوحة منهم، كما أنَّ مُجاورته لفارس كان يُفيد بإمكانية حُصول تحالف بين الروم والفُرس ضدَّ المُسلمين. وكان فتح الجزيرة الفُراتية من شأنه تثبيت الفتوح الإسلاميَّة في العراق والشَّام وحماية المُكتسبات الإسلاميَّة وقطع الصلة بين القبائل العربيَّة المسيحيَّة وبيزنطية بهدف وقف تجنيد العرب في الجيش البيزنطي، ومنع هرقل من الوُصول إلى المدِّ الأرمني. ولمَّا كان أبو عُبيدة قد توفي بطاعون عمواس، أقدم عُمر على تولية عياض بن غنم على حمص وقنسرين والجزيرة فخرج على رأس الجيش في مُنتصف شعبان 18هـ المُوافق وأغار على الرِّقة ثمَّ حاصرها وفتحها صلحاً. وواصل تقدُّمه إلى الرها، وعسكر على أحد أبوابها، فقاومه أهلها، وبثَّ خيله في الأماكن المُجاورة، ولم تَمْضِ ستَّة أيَّام حتَّى طلب قائد الحامية الصُّلح، فأجابهُ عياض وأمنه وأهل المدينة على أنفسهم وأموالهم، وأقروا بالجزية والخراج. ثمَّ تقدَّم إلى حرَّان فصالحه أهلها على صلح الرها، وأرسل فرقةً عسكريَّةً فتحت سميساط، ولم

يلبث أهلُ المُدن الأُخرى مثل تل موزان وقرقيساء وآمد وماردين أن طلبوا الصُّلح بِشُروطِ صلح الرها فأجابهم عيَّاض. ثُمَّ واصل فُتوحه في سنة 19هـ ففتح ميافارقين وكفرتوثا ونصيبين وأرزن. وأرسل عُمر بن سعد الأنصاري ففتح رأس العين ودارا ودخل درب الروم، وأطلَّ على أرمينية. وبهذا سقطت كامل الجزيرة الفُراتيَّة بيد المُسلمين، وقُطعت صلة الروم بفارس المُتداعية.

مع السيطرة على الجزيرة الشمالية، تم تأمين حدود الدولة الإسلامية من الشمال، وتمكن المسلمون من فتح الطريق نحو أرمينيا وأذربيجان، مع ترك إدارة محلية تحت إشراف ولاة المسلمين لضمان استقرار الحكم وتطبيق الجزية وفق المبادئ الإسلامية.

=====